١٨- باب

ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين

وقول الله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ ﴾{النساء : ١٧١}

وفي الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تعالى ﴿وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدّاً وَلا سُوَاعاً وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً﴾ قال: هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح ، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم : أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابا، وسموها بأسمائهم، ففعلوا. فلم تعبد ، حتى إذا هلك أولئك ونُسي العلم عُبدت.([١])

وقال ابن القيم : قال غير واحد من السلف : لما ماتوا عكفوا على قبورهم ، ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم ([٢]).

وعن عمر: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ؛ إنما أنا عبد ، فقولوا : عبد الله ورسوله» أخرجاه([٣]).

وقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إياكم والغلو؛ فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو» ([٤]).

ولمسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «هلك المتنطعون» قالها ثلاثا ([٥]).

فيه مسائل:

الأولى: أن من فهم هذا الباب وبابين بعده ، تبين له غربة الإسلام، ورأى من قدرة الله وتقليبه للقلوب العجب.

الثانية: معرفة أول شرك حدث على وجه الأرض : أنه بشبهة الصالحين.

الثالثة: أول شيء غير به دين الأنبياء، وما سبب ذلك مع معرفة أن الله أرسلهم.

الرابعة: سبب قبول البدع، مع كون الشرائع والفطر تردها.

الخامسة: أن سبب ذلك كله مزج الحق بالباطل ، فالأول: محبة الصالحين. والثاني: فعل أناس من أهل العلم والدين شيئاً أرادوا به خيراً، فظن من بعدهم أنهم أرادوا به غيره.

السادسة: تفسير الآية التي في سورة نوح.

السابعة: جبلة الآدمي في كون الحق ينقص في قلبه، والباطل يزيد.

---

[١] رواه البخاري في صحيحه برقم (٤٩٢٠).

[٢] إغاثة اللهفان (١/ ١٨٤) .

[٣] رواه البخاري برقم (٣٤٤٥).

[٤] رواه أحمد في المسند برقم (٣٢٤٨)، وابن ماجه برقم (٣٠٢٩) .

[٥] رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٦٧٠) .

الثامنة: أن فيه شاهداً لما نقل عن السلف أن البدعة سبب الكفر.
التاسعة: معرفة الشيطان بما تؤول إليه البدعة، ولو حسن قصد الفاعل .
العاشرة: معرفة القاعدة الكلية ، وهي النهي عن الغلو، ومعرفة ما يؤول إليه.
الحادية عشرة: مضرة العكوف على القبر لأجل عمل صالح.
الثانية عشرة: معرفة النهي عن التماثيل، والحكمة في إزالتها.
الثالثة عشرة: معرفة شأن هذه القصة ، وشدة الحاجة إليها مع الغفلة عنها.
الرابعة عشرة: وهي أعجب وأعجب: قراءتهم إياها في كتب التفسير والحديث، ومعرفتهم بمعنى الكلام، وكون الله حال بينه وبين قلوبهم ، حتى اعتقدوا أن فعل قوم نوح هو أفضل العبادات، واعتقدوا أن نهي الله ورسوله عنه هو الكفر المبيح للدم والمال.
الخامسة عشرة: التصريح أنهم لم يريدوا إلا الشفاعة.
السادسة عشرة: ظنهم أن العلماء الذين صوروا الصور أرادوا ذلك.
السابعة عشرة: البيان العظيم في قوله: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم» فصلوات الله وسلامه على من بلغ البلاغ المبين.
الثامنة عشرة: نصيحته إيانا بهلاك المتنطعين.
التاسعة عشرة: التصريح بأنها لم تعبد حتى نُسي العلم، ففيها بيان معرفة قدر وجوده، ومضرة فقده.
العشرون: أن سبب فقد العلم موت العلماء.

الشرح:

سبق الكلام على باب قول الله جل وعلا ﴿ **إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ**﴾{القصص:٥٦} ، وهنا يتكلم المؤلف على باب هوتكملة للبابين السابقين ، وهو **باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين** .

قوله: (ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم) ، يعني سبب تركهم دينهم هو الغلو في الصالحين ، فهذا الباب له تعلق كبير بباب الشفاعة وما بعده، لأننا عندما نعرف سبب الغلو في الصالحين سنعرف أن سبب ذلك عدة أشياء، من هذه الأشياء ومن أعظم هذه الأشياء محبة الصالحين، والصالحون على رأسهم الأنبياء والرسل، ثم من تبعهم بعد ذلك من الصالحين : من المؤمنين

والصديقين والعلماء والدعاة إلى الله جل وعلا، فكل هؤلاء يدخلون في لقب أو في كلمة الصالحين سواء كانوا رجالاً أو نساءً، فالناس يحبون هؤلاء الصالحين، ومحبة الصالحين ليس فيها إشكال، فنحن مطالبون بمحبة أهل الصلاح، وهذا من حقهم ، لأن الحقوق ثلاثة أنواع :

الحق الأول : لله جل وعلا : لا يشاركه فيه غيره ، هذا الحق الذي لله جل وعلا لا يشاركه فيه غيره هو التأله والعبادة ، فلا تصرف العبادة إلا لله الواحد الأحد الفرد الصمد، لا يجوز أن تصرف لغيره، لا لملك مقرب ولا نبي مرسل، فهذا الحق لله لا يشاركه فيه غيره أبداً.

الحق الثاني : **للأنبياء والرسل** : وهذا الحق يكون بالإيمان بهم وتصديقهم، واتباعهم والاقتداء بهم .

الحق الثالث : حق مشترك، لله جل وعلا ثم لأنبيائه ورسله، وهذا الحق هو المحبة والطاعة، طاعة الله جل وعلا وطاعة أنبيائه ورسله، ومحبة الله جل وعلا ومحبة أنبيائه ورسله، وهذه المحبة التي للأنبياء والرسل هي في الأصل تابعة لمحبة الله جل وعلا، وطاعتهم أيضاً من طاعة الله سبحانه وتعالى ، لكن نحن أمرنا بها، ومنصوص عليها قال الله تعالى:﴿ **مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ**﴾{النساء:٨٠} وقال: ﴿**قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ**﴾{آل عمران :٣١}فهذه الحقوق الثلاثة .

فلا يصح أن تجعل حق الله جل وعلا للأنبياء ولا للرسل ولا للصالحين ولا للعلماء ولا لغيرهم ، فلا تخلط بين الحقوق ، هناك حق مشترك وهو المحبة والطاعة والاتباع، وهناك حق خاص بالله جل وعلا وهو التأله والتعبد ، وهناك حق خاص بالرسل والأنبياء وهذا الحق بتوقيرهم وتعزيرهم وتصديق ما جاءوا به وطاعتهم ونحو ذلك ، فلا يجوز أن تصرف حق الله جل وعلا الذي تفرد به لأحد من خلقه ، وبعض الناس من حبهم للأنبياء والصالحين جاوزوا الحد المشروع لهم، فالمحبة شيء واجب، لكن بقدر معين، ومجاوزة هذا القدر يوقع في الغلو ، مجاوزة هذا الحق الذي للأنبياء أوالمرسلين أوالصالحين يوقع في الغلو بشتى صوره .

وهذا الغلو الذي يحصل في الأنبياء والمرسلين والصالحين يتخذ عدة صور، وأصحابه يسلكون في ذلك طرقاً ، فقد يغلون في النبي أو الرسول أو الصالح أو الولي،حتى يجعلوا له التصرف في الكون أو في جزء منه أو في جهة من جهاته ، أو يصل بهم الغلو إلى أن يستشفعوا به ويطلبوا منه أن يشفع لهم عند

الله سبحانه وتعالى، بل وقع هذا في بعض الأمم السابقة ، فالنصارى غلوا في حبهم لعيسى عليه السلام حتى اعتقدوا أنه هو الله أو ابن الإله أو ثالث ثلاثة ، واليهود اعتقدوا الألوهية في عزير وأنه ابن الله ، فالغلو موجود في الأمم السابقة ، وهذه الأمة أخذت نصيباً منه ، لأنها تبعت سنن من كان قبلها.
والغلو يكون في الاعتقاد والأقوال والأعمال ، هذا من ناحية الغلو الذي يقع ، وقد يقع الغلو أيضا في الأشياء العادية من المباحات .
والعالم الإسلامي ابتلي بأناس من دعاة الصوفية يروجون للغلو في الصالحين ، وأخذوا على عاتقهم أن يروجوا في الأمة فكر الغلو بأشد ما يكون ، ومن هؤلاء رجل اسمه الحبيب الجفري، يخرج في الفضائيات وفي القنوات ويتجول في البلدان ، وكان في المملكة ثم طرد منها ثم جاء إلى مصر وطرد من مصر أيضاً لأمور سياسية وذهب إلى الإمارات وأصله من اليمن ، وهو متجول ، أذكر لكم شيئاً يسيراً من كلام هذا الإنسان الفاتن الداعي إلى الفتنة لكي تدرك أهمية هذه الموضوعات التي نتكلم فيها في هذا الكتاب المبارك وأننا في أشد الحاجة إلى ضبط قواعدها وأدلتها لنستطيع أن نرد على هذه الأفكار المسمومة ، يقول هذا الجفري أن من يستغيث بالنبي صلى الله عليه وسلم فإن القاعدة أن الرسول صلى الله عليه وسلم يغيث بروحه من يستغيث به ، ويمكن أن يغيث أيضا بجسده ، أي يخرج لك من قبره ، كما أن بإمكان النبي صلى الله عليه وسلم أن يغيث بروحه مليون شخص في لحظة واحدة ، يعني لو استغاث به مليون شخص في لحظة واحدة بإمكانه أن يغيثهم ، وهذا لا يكون إلا لله جل وعلا الذي يسمع الأصوات على اختلاف اللهجات والأماكن والحاجات وهو جل وعلا القادر أن يغيثهم كلهم كما يشاء سبحانه وتعالى.
فهذا جعل شيئا من صفات الرب جل وعلا ومن كماله وغناه وقدرته ؛ للنبي صلى الله عليه وسلم ، ويقول : إنه لا يستغرب خروج روح الولي الميت لكي تنفع من يستغيث بها.
يقول أن هذا شيء عادي لا يستغرب ، ويقول أن الأصل أن الأولياء الأموات يغيثون بأرواحهم من يستغيث بهم ولا يمنع في اعتقاده أن يخرج جسد الميت من القبر. ثم يصرح بأن هناك من الأولياء من فوضهم الله جل وعلا في إدارة أمور الكون ، بعض الأولياء أعطاهم الله جل وعلا تفويض أن يديروا أمور الكون، كل واحد يأخذ جزء من الكون يديره وأن عندهم إذن مسبق في التصرف في الكون وأنه بإمكانهم الرَّزق والإحياء والإماتة ، فجعل الرَّزق والإحياء والإماتة لا أقول من صفات المخلوقين فقط ، بل الأموات ، جعل لهم

إذناً مسبقاً من الله جل وعلا بأن يرزقوا ما شاءوا وأن يحيوا ما شاءوا وأن يميتوا ما شاءوا ويصرح بأنه يمكن للولي الميت أن يدعو للحي ، وأن كرامات الأولياء لا حد لها إلا في مسألتين : المسألة الأولى: أن ينزل عليهم كتاب من الله. فهو يستبعد أن ينزل عليهم كتاب من الله جل وعلا ، أو أن يخلق الولي طفلا من غير أب، وهذه المسألة عند الجفري مختلف فيها ، فقد تحصل ، كأن تأتي له امرأة أو يكون هو يريد شيئاً معيناً فيخلق هذا الولي من تلك المرأة طفلا من غير أب .

أما لو أتته امرأة متزوجة وعاقر أو عقيم لا تلد فهذه يسيرة لا إشكال فيها ، لكن الإشكال في أنه هل يمكن أن تحمل هذه المرأة بدون زوج ؟ يقول هذه فيها خلاف عندهم ، أي عند الصوفية ، وهناك قول عندهم بجوازها، وهذا الذي قلته عن الجفري ليس ببعيد عنه لأنه تلميذ لرجل من طواغيت هذا العصر الذين هلكوا وهو محمد علوي المالكي ، كان يسكن في مكة وكان له منذ زمن درس في الحرم ثم وُقف بعد ذلك بعدما ألف كتاباً له خبيث اسمه «مفاهيم يجب أن تصحح» ومن الذين ردوا عليه الشيخ ابن منيع في كتابه «حوار مع المالكي» ، والشيخ ابن باز، وأيضا كتاب لشيخنا الشيخ صالح آل الشيخ وهو «**هذه مفاهيمنا**» .

ومحمد علوي المالكي في كتابه الخبيث الذي هو «مفاهيم يجب أن تصحح» نشر فيه كل بدعة يحتاج إليها المخرف في كل عصر وفي كل مصر، وكل بدع الصوفية ذكرها وذكر شبهها في هذا الكتاب ، جمع هذا الجمع الكبير، وكان هذا الكتاب يوزع في بعض الدول العربية في المساجد مجانا ، لنشر الشرك والبدعة والخرافة في الأمة والعياذ بالله، فالجفري يعتبر من أكبر تلاميذ المالكي ويثني عليه أيما ثناء ، يقول المالكي في هذا الكتاب «لا شك أن الأرواح لها من الانطلاق والحرية ما يمكنها من أن تجيب من يناديها وتغيث من يستغيث بها كالأحياء سواءً بسواء بل أشد وأعظم» سبحان الله! يعني الأرواح تستطيع أن تغيث من يستغيث بها أشد وأعظم من الأحياء، سبحان الله! فالجفري وشيخه من دعاة الفتنة الذين ابتلي بهم المسلمون في هذا العصر، فهلك هذا الطاغية الكبير المالكي وبقي هذا الجفري ، الذي يتنقل في البلاد ، ليبث أفكاره المسمومة فيها .

إذاً هذه المسائل التي نتكلم فيها يحتاج طالب العلم أن يضبط أصولها ليرد على دعاة الفتنة والذين يريدون أن يعيدوا الأمة إلى الشرك الأكبر- والعياذ بالله - بصوره المتعددة ، ومنها الغلو في الصالحين من الأموات ، فيجعل الإنسان

بهذا الغلو يطلب منهم الشفاعة ، ويزعم أن لهم تصرفاً في الكون ، بل إنه ينسى ويتناسى رب العالمين في دعائه واستغاثته بل في مدحه وثنائه ، كما قال البوصيري في بعض بردته يمدح النبي صلى الله عليه وسلم يقول :

لو ناسبت قدره آياته عظماً　　أحيا اسمه حين يدعى دارسَ الرمم

يعني الآيات التي جاء بها والمعجزات التي جاء بها ومنها القرآن لا تليق بمكانة النبي صلى الله عليه وسلم .

لو ناسبت قدرَه آياته : يعني لو ناسبت آياته قدره عظماً ، لكان اسمه حينما يذكر على ميت رميم عظم ؛ فإنه يحيا ويقوم من قبره ، يقول له مثلا باسم محمد صلى الله عليه وسلم قم، أو محمد صلى الله عليه وسلم أرسل إليك أن تقوم أو تحيا أو تبعث من قبرك ، فيخرج من قبره ، وهو رميم ، عظام بالية.

أحيا اسمه حين يدعى دارس الرمم : يعني صاحب العظام البالية التي أصبحت رميماً بالية وهذا من الغلو .

وقال أيضاً:

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به　　سواك عند حلول الحادث العمم

فليس له أحد يلوذ به سوى النبي صلى الله عليه وسلم !!

وقال :

فإن من جودك الدنيا وضرتها　　ومن علومك علم اللوح والقلم

فلم يبق شيئا لله جل وعلا .

هذه هي صورة من صور الغلو المقيت الذي انتشر في هذه الأمة ولا يزال ، والذي سبقنا إليه اليهود والنصارى ، لذلك قال البوصيري في بردته :

دع ما ادعته النصارى في نبيهم　　واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكم

دع ما ادعته النصارى في نبيهم : يعني اترك ما ادعته النصارى في عيسى عليه السلام؛ أنه ابن الله !

واحكم بما شئت فيه مدحاً واحتكم : يعني اترك فقط كلام النصارى في عيسى أنه ابن الله وبعد هذا قل ما شئت طالما أنك لم تقل أن عيسى ابن الله أو ثالث ثلاثة !

من أجل ذلك عقد المؤلف هذا الباب المهم وعقد بابين بعده في هذا المعنى.

فبعدما بين في الأبواب السابقة التوحيد وأصول التوحيد والشرك وبعض صوره يبين في هذا الباب بداية ظهور الشرك في هذه الأرض وبعض مظاهر هذا الشرك الذي ظهر ومنه الغلو في الصالحين ، فبين بداية ظهور الشرك وسبب هذا الشرك، فقال رحمه الله تعالى:

«باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين»

قوله : «ما جاء أن سبب كفر بني آدم» السبب لغة : هو ما يتوصل به إلى غيره وفي الاصطلاح : ما يلزم من وجوده الوجود ومن عدمه العدم.

مثل غروب الشمس سبب في دخول وقت صلاة المغرب، فإذا لم تغرب الشمس لم تجب بذلك صلاة المغرب ، إذا عُدم السبب عُدم المسبب ؛ وإذا وُجد وُجد ، فيلزم من وجوده الوجود ومن عدمه العدم.

قوله : « وتركهم دينهم» (دينهم) مفعول به ، لأن **(ترك)** مصدر مضاف فعمل فيما بعده **«وتركهم دينهم هو الغلو» الغلو**: خبر أن **«ما جاء أن سبب» سبب**: اسم أن وخبرها: **الغلو** .

قوله :«الغلو في الصالحين» في الصالحين والصالحات ، لأنه يوجد الآن كما هو معلوم في هذه الأمة قبور لصالحات يعني زعموا وجودهن في تلك القبور وهذه القبور تعبد من دون الله ويؤتى عندها بأنواع العبادات ، ومن هذه القبور ما يسمونه بقبر السيدة زينب والسيدة نفيسة وغير ذلك . فالقصد أنه يدخل في هذه الترجمة الغلو في الصالحين أو في الصالحات من الرجال أو النساء .

والغلو هو : مجاوزة الحد في الثناء أو في الوصف ، كمن يريد أن يثني على نبي من الأنبياء أو أحد الصالحين فيتجاوز الحد المشروع ويقع في الإطراء الممنوع .

الدليل الأول :

وقول الله جل وعلا: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾{النساء:١٧١} أهل الكتاب هم اليهود والنصارى، الخطاب لليهود والنصارى ﴿ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ ﴾ هل الخطاب لليهود والنصارى فقط؟

الجواب : لا ، بل الخطاب لهم ولنا ، الخطاب موجه لنا كما هو موجه لهم أيضا ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَق ﴾ والقول الحق أن الله جل وعلا هو الواحد الأحد الذي لا يعبد سواه ولا ينبغي ولا يحق أن يفرد بالعبادة سواه جل وعلا، لماذا الخطاب وُجه لليهود والنصارى؟ لأنه كما سبق في أول الكلام أن النصارى ألهوا عيسى بشتى الأنواع ، وأيضا اليهود ألهوا عزيراً وأيضا النصارى ابتدعوا الرهبانية ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ ﴾{الحديد:٢٧} فهم ابتدعوا الرهبانية وغلوا في عيسى وأمه فقال ﴿ يَا أَهْلَ

الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﴾ فحقيقته أنه عبد لا يعبد ورسول لا يؤله .

قوله :﴿ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ ﴾ يعني كان بالكلمة، كلمة كن، فكان عيسى ﴿ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ ﴾ عن طريق جبريل عليه السلام.

قوله : ﴿ وَرُوحٌ مِنْه ﴾ أي : روح من الأرواح التي خلقها الله جل وعلا ، وأضافه إليه إضافة تشريف وتكريم .

قوله : ﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾ سبحانه وتعالى، إذاً النهي هنا عن الغلو بجميع أنواعه.

الدليل الثاني :

قوله: «وفي الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: في قول الله تعالى ﴿وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدّاً وَلا سُوَاعاً وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً﴾ قال: هذه أسماء رجال صالحين..» هذا الأثر قال الشيخ **«وفي الصحيح»** أي في صحيح البخاري[١]، لكن هذا الأثر في إسناده إشكال ، وهذا الإشكال سنذكره ونذكر الجواب عنه ، لكنه لا يؤثر في بحثنا لأن الباب فيه أدلة كثيرة ، والأمور التاريخية أمرها أسهل من الأمور التي تتعلق بالأحكام أو بأصول اعتقادية ، فالإشكال هنا أن البخاري رحمه الله تعالى قال في هذا الحديث : حدثنا إبراهيم بن موسى أخبرنا هشام، وهشام هو ابن يوسف الصنعاني عن ابن جريج ، ثم قال : (وقال عطاء عن ابن عباس رضى الله عنهما) ، يعني عندما جاء إلى ابن جريج وقف عنده ، لم يقل ابن جريج حدثنا أو أخبرنا بل قال : (وقال عطاء عن ابن عباس) فالإشكال هنا في موضعين ، الأول : رواية ابن جريج عن عطاء وهذه واحدة ، الثانية رواية عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أما الأولى وهي : رواية ابن جريج عن عطاء : فابن جريج - هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج - وهو مدلس، وهنا لم يسند الحديث ، وإنما قال : (وقال عطاء) ، فقال المحدثون : بأن ابن جريج لم يسمع التفسير من عطاء ، بل أخرج له ابنه واسمه عثمان كتاباً فيه تفسير سورة البقرة وآل عمران ، وناوله إياه ، فهو بهذا لم يسمع من عطاء ، والمراد بعطاء أحد رجلين الأول : هو عطاء الخراساني أو عطاء بن أبي رباح ، فإن كان الثاني فلا إشكال وإن كان الخراساني فقد تَكلم ابن المديني في سماع ابن جريج منه وأنه لا يثبت له سماع

---
[١]) رواه البخاري في صحيحه برقم {٤٩٢٠} .

، وذكر الخطيب البغدادي رحمه الله تعالى أنه إذا قال البخاري عطاء فقط ولم يصرح بالتحديث فإنه يحمل على عطاء بن أبي رباح ، وهذا الجواب قد يكون مناسباً لولا أن عبدالرزاق روى هذا الحديث عن عطاء الخراساني .
الإشكال الثاني : في قوله (عطاء عن ابن عباس) فإذا كان الخراساني فإنه لم يسمع من ابن عباس فيكون هنا أيضاً انقطاع ، وقد أجاب الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى بأنه لا مانع أن يكون ابن جريج سمعه من عطاء الخراساني وعطاء بن أبي رباح الذي سمعه من ابن عباس ، والله أعلم .
الدليل الثاني :
قوله : « **وفي الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: في قول الله تعالى ﴿وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ﴾** يعني لا تتركن آلهتكم ولا تدعن آلهتكم.
(وقالوا) من القائل ؟
الجواب : هم المشركون في قوم نوح لما أرسل إليهم نوح عليه السلام بالتوحيد أحدثوا الشرك، فقد كان بين آدم ونوح عليهما السلام عشرة قرون ـ يعني ألف سنة ـ كلها على التوحيد وكلها على الإسلام، لم يكن قد ظهر في الأرض شرك، من عهد آدم عليه السلام إلى نوح عليه السلام.
قوله : ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَة﴾{البقرة :٢١٣} يعني على التوحيد، وهذا أصح القولين ، فقد قال بعض المفسرين : ﴿ أُمَّةً وَاحِدَة ﴾ يعني على الشرك إلى أن بعث الأنبياء .
﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَة ﴾ فاختلفوا ووقع الشرك ﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِين ﴾
.
قوله : ﴿ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ ﴾{نوح:٢٣} يعني : لا تستمعوا إلى نوح وما يقوله في آلهتكم واصبروا عليها كما قال : ﴿ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ﴾{ص:٦} وكما قال المشركون : ﴿ لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا ﴾ (وَدًّا) هو اسم رجل صالح جعل له بعد موته صنماً وكذلك سواع ويغوث ويعوق ونسر، خمسة أسماء لأوثان أو أصنام وهي أسماء لرجال صالحين، كان هؤلاء الصالحون في قوم نوح، كما قال ابن عباس: « **هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا**» أي ماتوا «**أوحى الشيطان إلى قومهم**» الوحي هو: الإلقاء في الخفاء.

فمعنى «**أوحى الشيطان إلى قومهم**» يعني وسوس إليهم «**أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابا**» وهذه بداية خطوات الشيطان حيث لا يوقع العبد في الشرك مباشرة بل يستدرجه شيئاً فشيئاً كما فعل هنا .

قوله : «**انصبوا إلى مجالسهم**» هذه الخطوة الأولى، حيث يوسوس إبليس ويقول ضعوا في مجالس هؤلاء الصالحين التي كانوا يجلسون فيها ويتعبدون فيها : «**أنصابا**» جمع نصب وهو ما يصنع على صورة الوثن من حجر أو خشب أو غير ذلك .

قوله :«**وسموها بأسمائهم**» أي : سموا ذاك الصنم باسم ودّ والثاني يغوث والثالث يعوق وهكذا ، لكي تتذكروا أن هؤلاء الصالحين كانوا يجتهدون في العبادة والطاعة فتجتهدوا كاجتهادهم ، لم يقل لهم أشركوا بالله .

قوله : « وسموها باسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك» فلما جاء الجيل الثاني والذي بعده ، سألوا أنفسهم لما صنع آباؤنا أو أجدادنا هذه التماثيل؟
فقال بعضهم لبعض ما صنعوها إلا لنستشفع بها عند الله جل وعلا، أي نطلب منها أن تشفع لنا ، وجاء في بعض كتب التفاسير أن الجيل الأول كانوا يستسقون بها، أي يطلبون السقيا بها.

قوله : «**فلما نسي العلم**» وفي رواية «**نسخ**» وفي رواية «**تنَّسخ**» نسخ العلم ورُفع العلم ونُسي العلم «**عبدت**» فقالوا بأن آباءنا إنما صنعوها لكي نستشفع بها عند الله عزوجل ، فلما نسي العلم «**وطال عليهم الأمد عبدت**» وهذا فيه فائدة مهمة وهي : أن الأمة التي يكثر فيها الجهل يكثر فيها الشرك، وأن من أكبر وسائل ظهور الشرك رفع العلم وقلة العلماء ؛ وكيف يكون رفع العلم؟

الجواب : بذهاب العلماء، كما جاء في الحديث «**إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء فإذا لم يبق عالم – أو لم يُبقِ عالما- اتخذ الناس رؤوسا جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأَضَلوا**»

فلما هلك ذلك الجيل ونسي العلم أو تنسخ العلم أو نسخ العلم قال الجيل الثاني والذي بعده إن آباءنا وإن أجدادنا ما صنعوا هذه التماثيل إلا لتعبد ويستشفع بها ويطلب منها، فعبدت هذه الأصنام الخمسة .

ومن أعجب العجب أن بعض المؤرخين يذكر أن هذه الأصنام كانت بعد ذلك لقريش، وجدها عمرو بن لحي ـ وهو أول من غير الدين في الجزيرة في جدة ـ وأتى بها من جدة أو من الشام واستجلبها إلى مكة وأدخلها للعرب، لقبائل العرب في الموسم فاتخذت كل قبيلة وثنا من هذه الأوثان لها، فبقيت في

العرب، كما ذكر هذا أكثر من واحد ممن كتبوا في تاريخ عبادة الأصنام أو التاريخ والسيرة عموما.

قوله : ابن القيم رحمه الله تعالى يقول: «قال غير واحد من السلف» يعني عدداً من المفسرين «**لما ماتوا عكفوا على قبورهم**» لما ماتوا بنوا لهم قبوراً يعني قبوراً مشرفة «**ثم صوروا تماثيلهم**» فهذه هي الرواية الثانية ، والرواية الأولى أن التماثيل صورت في مجالسهم ، الرواية التي ذكرها ابن القيم هنا عن غير واحد أن التماثيل صورت على قبورهم، سواء كان هذا أو هذا فالمقصود واحدة «**ثم صوروا تماثيلهم ثم طال عليهم الأمد**» يعني الزمن ، ونسي العلم «**فعبدوهم**» لماذا عبدوهم ؟

الجواب : لما سبق أنهم غلوا فيهم واعتقدوا أن آباءهم أو أجدادهم صنعوا هذه التماثيل لعبادتهم.

ويؤخذ من هذا فائدة مهمة وهي : أن النية الحسنة لا تسوغ العمل غير المشروع، يعني هؤلاء لهم نوايا حسنة ، قالوا إننا لكي نذكر عبادة الآباء وننشط في تلك العبادة ينبغي أن نصنع هذه التماثيل وهذه الصور - فالنية الحسنة لا تسوغ العمل غير المشروع - والعكس يسمى الطريقة المكيافيلية ، وهي المعروفة بالغاية تبرر الوسيلة، فلو أن شخصاً ينفق على الأيتام مثلا فيسرق أو يأخذ الربا أو يغش من أجل أن يطعم هؤلاء الأيتام هؤلاء والمساكين ، نقول هذه طريقة مكيافيلي، أما في الشريعة فالغاية لا تبرر الوسيلة ، والنية الحسنة لا تبرر العمل الذي لم تأت به الشريعة ، فكثير من الناس أو بعض الناس مقاصدهم حسنة لكن أعمالهم مخالفة للشرع ، نقول له جزاك الله خيرا على النية الحسنة لكنك آثم إذا علمت أن هذا مخالف للشريعة وعملته كما قال الشاعر :

كمطعمة الأيتام من كد عرضها ويلك لم تزني ولم تتصدق

قوله : «عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم» قال ابن القيم رحمه الله :

وما زال الشيطان يوحي إلى عُبّاد القبور ويُلقي إليهم أن البناء والعكوف عليها من محبة أهل القبور من الأنبياء والصالحين، وأن الدعاء عندها مستجاب، ثم ينقلهم من هذه المرتبة إلى الدعاء بها، والإقسام على الله بها، فإن شأن الله أعظم من أن يقسم عليه أو يسأل بأحد من خلقه.

فإذا تقرر ذلك عندهم نقلهم منه إلى دعائه وعبادته؛ وسؤاله الشفاعة من دون الله، واتخاذ قبره وثنا تعلق عليه القناديل والستور، ويطاف به ويستلم ويقبّل، ويحج إليه ويذبح عنده، فإذا تقرر ذلك عندهم نقلهم منه إلى دعاء الناس إلى عبادته، اتخاذه عيدا ومنسكا، ورأوا أن ذلك أنفع لهم في دنياهم وأخراهم. وكل هذا مما قد

علم بالاضطرار من دين الإسلام أنه مضاد لما بعث الله به رسوله صلي الله عليه وسلم من تجديد التوحيد، وأن لا يعبد إلا الله.

فإذا تقرر ذلك عندهم، نقلهم منه إلى أن من نهى عن ذلك فقد تنقص أهل هذه الرتب العالية وحطهم عن منزلتهم، وزعم أنه لا حرمة لهم ولا قدر، فغضب المشركون واشمأزت قلوبهم، كما قال تعالى: {وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ}. وسرى ذلك في نفوس كثير من الجهال والطغام، وكثير ممن ينتسب إلى العلم والدين، حتى عادوا أهل التوحيد ورموهمبالعظائم ونفّروا الناس عنهم، ووالوا أهل الشرك وعظموهم، وزعموا أنهم أولياء الله وأنصار دينه ورسوله، ويأبى الله ذلك {وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلا الْمُتَّقُونَ} .

شبهة وجوابها :

وما يحتج به بعض الناس مما حصل في مسجد المدينة أو مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فإن كثيرا من الناس لا يفهمون وضع المسجد مع القبر، معلوم أنه في حياته صلى الله عليه وسلم كانت غرف أو حجرات أزواج النبي صلى الله عليه وسلم بجانب المسجد يعني بينها وبين المسجد من الجهة الشرقية مسافة يسيرة يعني متراً أو أقل أو أكثر، فكان المسجد منفصلاً، وكذلك الحجر منفصلة، فلما توفي النبي صلى الله عليه وسلم دفن حيث قبض، لأنه جاء أثر في ذلك وقد ورد مرفوعاً عند أحمد لكن رجح العلماء أنه موقوف على أبي بكر الصديق ، أنه يدفن النبي حيث يقبض، فدفن صلى الله عليه وسلم في حجرة عائشة، حيث قبض صلى الله عليه وسلم ، وبعد ذلك قبر بجانبه الصديق رضي الله عنه ، وقالوا بأن عائشة جعلت حاجزا بينها وبين القبر، ثم لما دفن عمر رضي الله عنه معهما تركت الحجرة وخرجت منها، وبقيت الحجرة على حالها بجانب المسجد، بينها وبين المسجد مسافة، ثم لما كانت خلافة الوليد بن عبد الملك في آخر المئة الأولى أراد أن يوسع المسجد من الجهة الشرقية فبنوا

جداراً محيطا بغرفة عائشة فهذا هو الجدارالثاني وفي هذه التوسعة انكر ادخال الغرف او الحجرات في المسجد من كان موجوداً من العلماء ومن هؤلاء سعيد بن المسيب فقد انكر هذه التوسعة من الجهة الشرقية ولم يأخذ بقول أحد فهذا الجدار الثاني ثم لما حصلت بعد ذلك التوسعة بني بعد ذلك الجدار الثالث، وبني بعد ذلك في التوسعة الأخيرة السور الحديدي، وأخذوا من الروضة التي في المسجد النبوي التي جاء فيها الحديث «**ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة**»([1]) وليس ما بين قبري ومنبري. الذي ورد في الحديث «**ما بين بيتي**» لأن بعض الناس يرويه هكذا : قبري فأخذوا من الروضة حوالي ستة أمتار من المسجد وأدخلوها في هذه الجدران ، وآخر جدار الذي كان آخر سور السور الحديدي الموجود الآن ، والجدار الذي قبله في التوسعة الأخيرة صنعوه على هيئة مثلث ، طرفه ناحية الشمال ، أي عكس القبلة ، القبلة جهة الجنوب ، لأن المدينة بالنسبة لمكة جهة الشام جهة الشمال ، فالذي يريد استقبال القبلة ويستقبل القبر ويصلي إليه لا يستطيع لأنه سيجد الجهة التي يقف أمامها عندها رأس المثلث ، والقاعدة قاعدة المثلث جهة القبلة ، فلا يستطيع أحد أن يقف أمام الجدار ويكون خلفه القبر، فمن أراد أن يستقبله يجد نفسه أمام رأس المثلث فضلا عن أنه بعيد جداً عن القبر، يعني فضلا عن أنه بعيد عن البقعة المدفون فيها النبي صلى الله عليه وسلم ، وهي حجرة عائشة رضي الله عنها ، فعنده ثلاثة جدر وعنده السور الحديدي والجدار الذي قبل ذلك كما سبق هو على هيئة السنام أو رأس المثلث، يعني جهة الشمال ، فلا يستطيع أحد أن يستقبله استقبالا، وهذا من حفظ الله جل وعلا لنبيه صلى الله عليه وسلم وهو ميت وإجابة لدعاء نبيه حيث قال «**اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد**»([2]) .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى:

فأجاب رب العالمين دعاءه	وأحاطه بثلاثة الجدران
حتى غدا قبره بدعائه	في عزة وحماية وصيان

وصيان: يعني وصيانة.

فهذا من إجابة الله جل وعلا لدعاء نبيه صلى الله عليه وسلم ، فلا يستطيع أحد أبدا الآن أن يصل إلى البقعة المدفون فيها النبي صلى الله عليه وسلم يعني إذا أراد أحد أن يذهب ليتمسح أو يدعو أو يأخذ من تراب الجدار أو القبر أو يضع

---

[1]) رواه البخاري في صحيحه برقم (١٨٨٨) .
[2]) رواه مالك في الموطأبرقم (٥٩٣) .

شيئا أو يضع أو غيره لا يستطيع أن يخلص إليه، بينه وبينه ثلاثة جدران مبنية وجدار حديدي، وكان في وقت من الأوقات، يعني قبل الآن بسنوات في الجهة الشرقية يمنع الصلاة فيها، يعني جهة البقيع، لماذا؟ لكي يقطعوا على من يريد الطواف بالقبر، يعني من يريد أن يطوف بالقبر فإنه يجد الجهة الشرقية مغلقة بحيث أنه لا يستطيع أن يكمل الطواف .

فأصحاب القلوب المريضة والمخرفون بوجه عام يحتجون بأي شبهة .

الواقع أنه لا يستطيع أحد الآن أن يتمكن أبدا من الوصول لقبر النبي صلى الله عليه وسلم ولا أن يعبده ولا أن يتمسح به أو يذبح عنده أو ينذر له أو نحو ذلك.

فمشكلة الغلو في الأموات من الأنبياء والصالحين مشكلة قديمة كانت وما زالت مستمرة ، رغم النصوص الورد في التحذير من ذلك والوعيد للذين يتخذون القبور مساجد وأن هؤلاء الذين يبنون على القبور شرار الناس عند الله جل وعلا ومن أشر الناس بل هم أشر الناس عند الله جل وعلا ، فلذلك كانت هذه الأبواب التي معنا من أهم الأبواب ومن أكثر ما نحتاج اليه في عصرنا لشدة الفتنة بها.

الدليل الثالث :

وعن عمر: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ؛ إنما أنا عبد ، فقولوا : عبد الله ورسوله» أخرجاه([1]).

قوله : «**وعن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم»** » **الإطراء** : هو مجاوزة الحد في المدح والثناء ، «**لا تطروني**» إذا هذا نهي صريح من النبي صلى الله عليه وسلم ، لا تتجاوزوا الحد في مدحي ، ابن الأثير رحمه الله تعالى في النهاية : الإطراء مجاوزة الحد في المدح والثناء بالكذب ، يعني مع المدح والثناء يكذب ، يزيد في أوصاف ليست في الممدوح كذبا وزورا .

والكاف في قوله (**كما أطرت النصارى**) للتمثيل الناقص وليست للتمثيل الكامل كما تقول فلان كالأسد أي في شجاعته وليس في حيوانيته وشراسته ونحو ذلك .

قوله : «**إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله**» «**إنما أنا عبد**» فيه بيان أن هذا أشرف وصف للإنسان ، وهو أن يحقق العبودية ، فبمقدار تحقيق الشخص للعبودية وتدرجه في مراحلها وترقيه فيها بمقدار ما تعظم مكانته عند الله جل وعلا .

---

[1]) رواه البخاري في صحيحه برقم (٣٤٤٥) .

وقد وصف الله جل وعلا نبيه بهذا الوصف (العبودية) في أشرف المقامات :
أولا في مقام الإسراء والمعراج قال تعالى : ﴿**سبحان الذي أسرى بعبده ليلا**﴾ ﴿**فأوحى إلى عبده ما أوحى**﴾ .
ثانياً : في مقام التحدي فقال تعالى : (**وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**) {البقرة :٢٣}.
ثالثاً : في مقام الدعوة فقال تعالى :﴿ **وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا** ﴾
{الجن :١٩} .
رابعاً : في الوحي والتنزيل فقال تعالى: (**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا**) {الكهف : ١} وقال تعالى : (**تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا**) {الفرقان: ١}.
إذا أعظم مقام للإنسان عندما يحقق العبودية للباري جل وعلا.
قوله : «فقولوا عبد الله ورسوله» : في هذه العبارة رد على طائفتين :
الطائفة الأولى : الغلاة وهم الذين غلوا فيه ورفعوه إلى مقام الربوبية وجعلوا له شيئا من الربوبية كما سبق من قول البوصيري، وأيضا من جعل له شيئاً من الألوهية ، وقد رد عليهم بقوله «**عبد الله**» .
الطائفة الثناية : المكذبون برسالته صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى وكفار قريش وغيرهم ، فرد عليهم بقوله (**ورسوله**) فهو رسول لا يكذب .

الدليل الرابع :

وقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إياكم والغلو؛ فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو»([١]) .

قوله : «**وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم...**» ذكر هنا الحديث بدون عزو وبدون ذكر الصحابي ، والحديث هنا عن ابن عباس رضى الله عنهما ولم يذكر مخرجه ، وهذا الحديث رواه الإمام أحمد والنسائي وابن ماجة وهو على شرط مسلم كما قال النووي، فهو هو حديث صحيح .
قوله :«إياكم والغلو» قاله النبي صلى الله عليه وسلم حين منصرفه من المزدلفة ، يعني في حجة الوداع عندما كان سينصرف من المزدلفة إلى منى

---
[١]) رواه أحمد في المسند برقم (٣٢٤٨) ، وابن ماجه برقم (٣٠٢٩) .

طلب من ابن عباس أو الفضل رضى الله عنهما أن يلقُط له الحصى ـ حصى الجمار ـ التي سيرمي بها الجمرة الكبرى في يوم العيد ، فلما أتى له بالحصى قال «**بأمثال هؤلاء فارموا**»([1]) يعني أتى له بحصى مثل حصى الخذف ، وهي حصى صغيرة يستطيع الإنسان أن يضعها في أصبعه ويخذف بها ، أي : يرمي بها ، وهي حصى صغيرة ، بين الحمصة والبندقة ونحو ذلك .

قوله : «وإياكم والغلو» وإن كان سبب الحديث هو التقاط الحصى الذي سيرمي به الجمرات ـ فينبغي ألا يبالغ في حجمه ولا يقصد الحصى الكبار كما يصنع بعض الناس الآن ظناً منهم أنهم يرمون بها الشيطان فهذا إعتقاد خاطيء .فالحديث وإن كان سببه ما ذكر ولكنه عام في جميع أنواع الغلو، لذا قال بعدها «**فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو**».

الدليل الخامس :

ولمسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «هلك المتنطعون» قالها ثلاثا [2].

قال: «**ولمسلم عن ابن مسعود**» يعني عبد الله بن مسعود رضي الله عنه «**أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «هلك المتنطعون» قالها ثلاثا**» النّطع هو الغار الأعلى من الفم ثم استعمل في كل متعمق، كل واحد متعمق أو متكلف قيل فيه متنطع، أصل النطع الغار الأعلى من الفم ، ثم استعمل في كل متعمق ، الذي يتكلف ما لم يشرع له فيه ، سواء كان ذلك في العلم أو في العبادة كما جاء أناس من العراق لابن عمر قالوا إنه ظهر قبلنا أناس يتقفرون العلم ، يعني يتعمقون ويتكلفون في أمور من العلم حتى وصلوا إلى قولهم إن الأمر أنف ، يعني نفوا علم الله جل وعلا السابق بما يكون ، بسبب تعمقهم وتكلفهم ما لم يشرع لهم ، ولم يؤذن لهم فيه ، كذلك التنطع في العبادة ، فالجماعة الذين أتوا إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وسألوا عن عبادته فكأنهم تقالوها ، فقال أحدهم : أما أنا فلا آكل اللحم ، وقال الثاني : أما أنا فلا أتزوج النساء، وقال الثالث : أما أنا فأقوم ولا أنام ، ثم لما علم بذلك النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم: «والله إني لأخشاكم لله وأعلمكم بما أتقي وأنا أنام وأصلي وأصوم وأفطر وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني»([3]) أو كما قال صلى الله عليه وسلم .

---

[1] رواه ابن ماجه في سننه برقم (٣٠٢٩).

[2] رواه مسلم في صحيحه برقم (٦٩٥٥).

[3] رواه البخاري في صحيحه برقم (٥٠٦٣).

إذاً التنطع يكون في العلم ويكون في العبادات حتى يكون في بعض المباحات، يعني وجد أناس يقال لهم النباتيون ،وهم لا يأكلون ما فيه روح ، ويقولون نفعل ذلك رحمة بهذا الحيوان ، ويرد عليهم بأن الله جل وعلا خلق هذا الحيوان للإنسان يطعم به ويتقوى به على أمر دينه ودنياه قال تعالى : (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ){الأعراف :٣٢} وقال (وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ){الأنعام :١١٩} فالتنطع يكون في المباحات والعبادات وفي الأقوال والأفعال والمعتقدات.

قوله :«فيه مسائل» :

قال : الأولى: أن من فهم هذا الباب وبابين بعده ، تبين له غربة الإسلام، ورأى من قدرة الله وتقليبه للقلوب العجب.

وهذا قاله المؤلف في عصره في القرن الثاني عشرالهجري ، ما بالك لو رأى الآن ما نراه الآن في مشارق الأرض ومغاربها من انتشار المشاهد على قبور الصالحين بل انتشار المساجد على قبور ما يزعم أنهم أولياء «**ورأى من قدرة الله وتقليبه للقلوب العجب**» لأن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء ، يعني تجد أناساً من أهل العلم وعندهم شهادات عليا ومع ذلك يمجدون العبادة باتخاذ المشاهد على القبور أو اتخاذ القباب على القبور أو المساجد على القبور، يمدحون هذا ويمجدون فاعل هذا ويعادون من يتكلم على هذا ويعارض ، فهذا من تقليب الله جل وعلا للقلوب ، وقد حفظ القرآن ودرس التفسير والسنة ومع وضوح هذا في القرآن والسنة فهو في أشد العمى عنه.

«الثانية: معرفة أول شرك حدث في الأرض: أنه بشبهة الصالحين»

يعني سبب أول شرك حدث في الأرض بسبب أو بشبهة التعلق بالصالحين وكما سبق توضيحه .

«الثالثة: أول شيء غير به دين الأنبياء، وما سبب ذلك مع معرفة أن الله أرسلهم»

هو الشرك «**وما سبب ذلك؟**» سبب ذلك هذه الشبهة وهي الغلو في الصالحين «**مع معرفة أن الله أرسلهم** » يعني أرسل الأنبياء يدعون الناس للتوحيد ويجاهدون الشرك بكل أنواعه قال تعالى : ﴿**كان الناس أمة واحدة فبعث الله**

النبيين مبشرين ومنذرين﴾ وقوله : **﴿وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا﴾** اختلفوا بأي شيء؟ بالشرك ، كان الناس على التوحيد عشرة قرون ، يعني ألف سنة ، ثم طرأ الشرك على قوم نوح كما سبق بيانه .
« **الرابعة: قبول البدع، مع كون الشرائع والفطر تردها** » يعني كان السلف يقولون ما أسرع الناس إلى البدع ، من السهل على الناس الدخول في البدعة بقصد أنها شيء فيه ذكر الله ونحو ذلك كما يحصل في إقامة الموالد ، وأكثر من يقع في هذا الجهال ، أما من يعرف السنة من البدعة فإنه يقف حيث وقف السلف الصالح ، وقد قال ابن مسعود رضى الله عنه (اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم)
«**الخامسة: أن سبب ذلك كله مزج الحق بالباطل ، فالأول: محبة الصالحين. والثاني: فعل أناس من أهل العلم والدين شيئاً أرادوا به خيراً، فظن من بعدهم أنهم أرادوا به غيره**»
أي اختلاط الحق بالباطل ، فقد يكون عند الإنسان شيء من الحق يجادل به ويخلط به باطلا كثيرا فيلتبس الأمر على الجاهل بسبب ذلك ، فمحبة الصالحين مقصود شرعي ، لكن الممنوع الغلو في هذه المحبة .
«**الثاني: فعل أناس من أهل العلم شيئا أرادوا به خيرا**» لأنهم قالوا سنجعل صوراً أو تماثيل في مجالسهم كي ننشط في العبادة ، فهم أرادوا خيرا ، فظن من بعدهم أنهم أرداوا به غيره أي : الاستشفاع بالصالحين أو دعاء الصالحين ، فوقعوا بذلك في الشرك الأكبر.
«**السادسة: تفسير الآية التي في سورة نوح**» سبق الكلام عليها .
«**السابعة: جبلة الآدمي في كون الحق ينقص في قلبه، والباطل يزيد**» إلا من رحم الله، يعني : الإنسان الذي لا يتعاهد إيمانه فإن الحق يقل في قلبه والباطل يزداد ، لماذا؟ لأنه بزيادة الفتن وكثرة الشبهات والشهوات ينقص الإيمان وينقص الحق في قلب الإنسان والباطل يزداد لكثرة قرناء السوء وأصحاب السوء ، أما أهل الإيمان فحالهم على العكس، أهل الإيمان يزداد الإيمان في قلوبهم.
«**الثامنة: فيه شاهد لما نقل عن السلف أن البدعة سبب الكفر**» وأن البدع بريد الكفر وأن المعاصي بريد الكفر، فالكفر له أسباب كثيرة منها البدعة ومنها المعاصي .
« **التاسعة: معرفة الشيطان بما تؤول إليه البدعة، ولو حسن قصد الفاعل** » فالشيطان يفرح بالبدعة أكثر من المعصية ، لأنه يعرف أن البدعة ثلمة في

الإسلام والشريعة ، لأن الذي يبتدع تبقى بدعته وتستمر وتتوارث وتفسد على مر العصور ، أما العاصي الذي يشرب الخمر فهو سيموت وتموت معه معصيته ، فالفاطميون الشيعة الروافض الذين جاءوا من المغرب وحكموا مصر هم أول من أنشأ بدعة الموالد وبنى القباب والمساجد على القبور كما يقول ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية ،وقد استمرت بدعتهم إلى الآن ، وقد فرح بذلك شياطين الإنس وشياطين الجن.
قوله : «**ولو حسن قصد الفاعل**» فمن يفعل البدعة ويقول نيتي صالحة ، أفعل هذا لأخذ الأجر والثواب ، يقال له : ولو كانت نيتك حسنة فقد أتيت ببدعة وكل بدعة ضلالة وأنت تأثم على هذه البدعة طالما علمت واستمررت عليها حتى لو كانت نيتك حسنة ، وقد جاء رجل يصلي قبل الفجر ركعتين سنة الفجر، ولما انتهى من صلاة الركعتين أراد أن يتطوع فقال له أحد التابعين الكبار وهو ابن المسيب : أما تخشى أن يعذبك الله؟ فقال: أيعذبني الله على الصلاة؟ قال : لا ، لكن يعذبك على خلافك لسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ، وكذلك الرجل الذي جاء إلى الإمام مالك يقول له يا إمام أريد أن أحرم بالعمرة من المسجد النبوي من عند القبر، فقال له : أخشى عليك الفتنة ، فقال: وأي فتنة يا إمام إنما هي أميال أزيدها ، فقال مالك : وأي فتنة أعظم من أن تظن أنك أتيت بشيء لم يأت به النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه.
«**العاشرة: معرفة القاعدة الكلية، وهي النهي عن الغلو، ومعرفة ما يؤول إليه**» الغلو كما سبق يؤول إلى الشرك .
«**الحادية عشرة: مضرة العكوف على القبر لأجل عمل صالح**» لأن العكوف على القبر وعند القبر يؤدي بعد ذلك إلى صرف العبادة لصاحب هذا القبر كما حصل وكما يحصل الآن.
«**الثانية عشرة: معرفة النهي عن التماثيل، والحكمة في إزالتها**» وهذا سيأتي تفصيل عنه في الباب القادم.
«**الثالثة عشرة: معرفة شأن هذه القصة، وشدة الحاجة إليها مع الغفلة عنها**» يعني قصة الصالحين من قوم نوح ، ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر «**وشدة الحاجة إليها**» يعني شدة الحاجة إلى معرفتها «**مع الغفلة عنها**».
«**الرابعة عشرة: وهي أعجب وأعجب: قراءتهم إياها في كتب التفسير والحديث، ومعرفتهم بمعنى الكلام، وكون الله حال بينه وبين قلوبهم ، حتى اعتقدوا أن فعل قوم نوح هو أفضل العبادات، واعتقدوا أن نهي الله ورسوله عنه هو الكفر المبيح للدم والمال**»

يعني قراءة علماء أهل البدع «**في كتب التفسير والحديث**» يعني في كتب التفسير قصة قوم نوح موجودة في تفسير سورة نوح وفي كتب الحديث أيضا موجودة «**ومعرفتهم بمعنى الكلام، وكون الله حال بينهم وبين قلوبهم، حتى اعتقدوا أن فعل قوم نوح هو أفضل العبادات**» يعني فعل قوم نوح وهو الاستشفاع بالصالحين أو الاستشفاع بالأموات الذي جاءت فيه الأحاديث وجاء فيه كلام ابن عباس وكلام كثير من السلف في التحذير منه فقالوا : بأن هذا أفضل العبادات وأفضل الطاعات وهو الاستشفاع بالصالحين وطلب الشفاعة من الصالحين «**واعتقدوا أن ما نهى الله ورسوله عنه فهو الكفر المبيح للدم والمال**» يعني الكفر الصريح أن تعبد الصنم أو الوثن فقط ـ فيما زعموا ـ فهذا هو الكفر الصريح ، أما الاستشفاع بالصالحين أو الطلب من الأموات فهذا لا شيء فيه ، وهذه العبارة عند المؤلف فيها احتمالات أخري .

«**الخامسة عشرة: التصريح بأنهم لم يريدوا إلا الشفاعة**» وهذا موجود في كفار قريش حيث قالوا ﴿**ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى**﴾ .

«**السادسة عشرة: ظنهم أن العلماء الذين صوروا الصور أرادوا ذلك**» ظنوا أن العلماء الذين صوروا الصور أو التماثيل في مجالس هؤلاء أو على قبورهم أرادوا الاستشفاع بهم ، وهذا غير صحيح ، لأن الذين صوروا تلك الصور أرادوا أن يتأسوا بهم في العبادة وينشطوا في العبادة إذا نظروا إليهم .

«**السابعة عشرة: البيان العظيم في قوله: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم» فصلوات الله وسلامه على من بلغ البلاغ المبين** » فقد حذر أمته هذا التحذير العظيم ، ونهاهم عن المبالغة في المدح والثناء كما فعلت النصارى .

«**فصلوات الله وسلامه على من بلغ البلاغ المبين**» .

«**الثامنة عشرة: نصيحته إيانا بهلاك المتنطعين**» المتنطع هو المتعمق سواء في العبادة المتكلف فيها بما لم يؤذن له فيه أو في الاعتقاد أو في المباحات ، هذا فيه وعيد بقوله صلى الله عليه وسلم : «**هلك المتنطعون**» يعني مآلهم إلى الهلاك والعياذ بالله تعالى، وكثير من المتنطعين حصل عليهم فساد ، بل بعض المتنطعين في بعض العبادات تركوا العبادة بالكلية ، بعض الناس الذين يتنطعون في الطهارة والوضوء للصلاة ويبالغون في هذا ملوا العبادة وتركوها بالكلية ، فهذا الدين دين وسط ، ليس دين المغالاة أو التكلف أو التنطع ، وفي الحديث «**القصد القصد تبلغوا**»([1]).

---

[1]) رواه البخاري في صحيحه برقم (٦٤٦٣) .

«**التاسعة عشرة: التصريح بأنها لم تعبد حتى نُسي العلم، ففيها بيان معرفة قدر وجوده، ومضرة فقده**» يعني هذه الصور وهذه التماثيل «**حتى نُسي العلم، ففيها بيان معرفة قدر وجوده، ومضرة فقده**» فالأمة كلما انتشر فيها العلم وقل فيها الجهل وكثر فيها العلماء وحصل فيها التوحيد وظهر كان ذلك أدعى لنهوض الأمة وتقدمها وانتصارها وعزتها، وكلما قل العلم وكثر الجهل وقل العلماء كان في ذلك الهلاك والعياذ بالله .

«**العشرون: أن سبب فقد العلم موت العلماء**» كما في حديث : «إن الله لايقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء فإذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤوسا جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا»([1]).

والله أعلم .

---

[1]) رواه البيهقي في السنن الكبري برقم (٢٠٨٤٩) ، وأخرجه البخاري في صحيحه بنحوه برقم (٢٠٨٤٩).